بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 50 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:04\10\2023 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

ما زال البحث الذي توقفنا عنده في إشكالية أنه كيف تكون الأكواب من فضة، وفي الوقت نفسه تكون قوارير؟ بدعوى أن القارورة هي الزجاجة التي يستقر فيها الشراب، فالقارورة من جنس الزجاج لا من جنس الفضة، والفضة مادة غير شفافة، بخلاف الزجاج، فكيف يجتمع هذان الوصفان في هذه الأكواب التي يسقى منها الأبرار في يوم القيامة؟

ذكرنا الجواب الأول، والذي ذكره العلامة الطباطبائي ﵀ من أنه في الكلام يوجد تشبيه بليغ، وهو التشبيه الذي تحذف فيه الأداة ووجه الشبه، ورددنا هذا الكلام إنما يصح فيما لو كان الكلام مقتصراً على ما جاء في الآية الأولى، وهي قوله: ﴿كانَتْ قَواريراَ﴾ فيصح أن نقول: كانت كالقوارير في الصفاء مثلاً، فحذفنا الأداة وحذفنا وجه الشبه، فيكون من التشبيه البليغ.

لكن مع ملاحظة صدر الآية الثانية ﴿كانَتْ قَواريراَ () قَواريراَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ فلا يتناسب هذا مع التشبيه البليغ. ولعله لأجل العلامة الطباطبائي ﵀ بعد أن بين هذا الجواب قال: كذا قيل. فنسبه إلى القيل.

الجواب الثاني: ما ذكره العلامة الطباطبائي ﵀ كاحتمال، فبعد القول السابق احتمل احتمالاً، وهو أن يكون بحذف مضاف، بحيث يكون التقدير: ﴿كانَتْ قَواريراَ﴾ أي كانت في صفاء القوارير. هي ليست قوارير فهي من فضة، لكن هذه الأكواب كانت في صفاء القوارير، فجنس هذه الأكواب من فضة وليست من القوارير. فالكلام على حذف مضاف، وهذا شائع في اللغة العربية.

مثلاً تقول: جاءني زيد، وتقصد جاءني غلام زيد. فحذف المضاف شائع في اللغة العربية. وهناك باب في البلاغة اسمه باب الحذف.

هذا الجواب لم يعلق عليه العلامة الطباطبائي ﷺ حيث ذكره كمجرد احتمال. وهذا أيضاً من الأجوبة التي أضعها في خانة إرادة الجواب للإسكات كيفما كان. نسلم أن اللغة العربية فيها حذف، لكن الحذف لابد أن يكون لأجل قرينة.

إضافة إلى ذلك أن الحدث هنا ليس مجرد حذف مضاف؛ لأنه مع حذف المضاف لوحده لا يلتئم التركيب. ﴿كانَتْ قَواريرَا﴾ فإذا كان المضاف المحذوف هو الصفاء، فلابد من وجود حرف جر، أي كانت في صفاء القوارير.

إذاً القضية لا تقتصر على حذف المضاف، فلابد لهذا الحذف من قرينة. السامع عندما يسمع قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرَا﴾ فلا يلتفت ذهنه إلى هذا الحذف.

الجواب الثالث: ما أشار إليه جملة من المفسرين، وهو أن قوارير الدنيا تختلف عن قوارير الآخرة.

قوارير الدنيا زجاجة، والزجاج كما نعلم مادته الأصلية الرمل. أما قوارير الآخرة مادتها الفضة. والخصائص تكون لقوارير الدنيا -التي هي من رمل- تثبت بصورة أوضح في قوارير الآخرة -التي هي من فضة-، فكما أن الله تبارك وتعالى قادر تكويناً على أن يقلب ذلك الرمل -الذي بحسب الفرض ليس شفافاً- أن يقلبه إلى مادة شفافة صافية في الدنيا، لهو قادر في الآخرة على أن يقلب مادة الفضة إلى مادة شفافة صافية، بل أصفى من قوارير الدنيا.

هذا الجواب جواب سليم، ويتناسب مع السياق؛ إذ أنه لو فرغنا على أن القوارير في اللغة والعرف متقومة بكونها زجاجية، وأصل الزجاج هو الرمل وأكسيد الصوديوم -كما يقولون-، فالباري تبارك وتعالى يكون قد بيّن في الآية الأولى أن هذه الأكواب صيّرها قوارير زجاجية، فيأتي إلى الذهن مباشرة أنها مصنوعة مما تصنع منه قوارير الدنيا، فدفعه مباشرة، وقال: ﴿قَواريرَا مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي هذا التكرار إنما هو لدفع هذا المطلب.

لو قال: بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا، فالذي يأتي إلى ذهن العرب آنذاك أن الآنية من فضة والأكواب من زجاج، والزجاج يصنع من الرمل؛ لأن العرب كانوا يصنعون الزجاج، ويعرفون هذا،

وكل الأمم خبيرة بهذا الأمر. فجاء التكرار في الآية الثانية ليدفع ذلك، أن هذه القوارير الصافية الشفافة الزجاجية في الآخرة مادتها ليست هي الرمل، بل مادتها من -لبيان الجنس- الفضة، والله سبحانه وتعالى قادر على أن تكون الفضة بمقدار من الجلاء فتصبح شفافة كالزجاج الذي مادته الرمل.

فالدال على هذا المعنى هو هذا التكرار، ولولا هذا التكرار كنا حملناه وحمله العرب وحمله السامع على هذا الشيء المتعارف. لكن إقحام هذا التكرار -أسلوب التكرار- للتأكيد على هذه المسألة، وهي أن جنس القوارير الزجاجية في الجنة أرفع شأناً من جنس القوارير الزجاجية من في الدنيا؛ لأن القوارير الزجاجية في الدنيا تصنع من الرمل، أما القوارير الزجاجية في الآخرة تصنع من الفضة.

وهذا أمر بالنسبة لله سبحانه وتعالى مقدور عليه.

فهذا احتمال باعتقادي صحيح، ويتناسب مع السياق.

الجواب الرابع ما ذكره الفخر الرازي -أيضاً كجواب رابع حسب كلامه، حيث الأجوبة التي لم أذكرها ولم أنقلها عنه في الواقع كلها ترجع إلى الوجه السابق، وليست وجوهاً مستقلة، وغير ذكر هذا الأمر، بل في بعض كتب الأصول ذكروا هذا الوجه-.

الإشكالية جاءت من كون أننا نتوهم أن القوارير زجاجية، والحالة أن الأمر ليس كذلك.

القوارير في اللغة مادتها (القاف والراء) وهذه المادة إذا بحثنا عنها في القواميس كما في معجم قواميس اللغة لابن فارس يذكر أن هذه المادة لها أصلان:

الأصل الأول: بمعنى البرد.

الأصل الثاني: بمعنى التمكن. والقوارير مأخوذة من الأصل الثاني، وهو ظرف يستقر بها ويتمكن فيه السائل.

نعم في الأعم الأغلب خارجاً هذا كان يصنع من زجاج. أما هذه الغلبة الخارجية ليست دخيلة في تكوين ماهية المعنى الموضوع له اللفظ. إذاً لا نسلم بأن القوارير هي زجاجية، بل القوارير في الأعم

الأغلب تكون زجاجية. وحينئذ -هذا إضافة مني- ما ذكرناه في الوجه السابق يأتي هنا، لهذا الأعم الأغلب كان مدعاة للتوهم، فجاء التكرار ليدفع هذا التوهم، ويقول القوارير من فضة.

فالقواري هو شيء بيضاوي يستقر فيه السائل، ومن أي شيء صنعت، حتى لو صنعت من خشبة. لكن تعارف الناس بالأعم الأغلب أن السوائل التي للشرب يضعونها في القوارير الزجاجية، فحتى لو كانت من ذهب أو فضة أو خشب.

فرق هذا الجواب الرابع عن الجواب السابق، أنه في الجواب الرابع لا يوجد إعجاز في قوارير الجنة؛ لأنه ليس من الضرورة أن تكون القارورة شفافة، فحتى لو كانت من ذهب أو من فضة تسمى قارورة، فيوضع فيها الشراب. فقوارير الدنيا في الأعم الأغلب زجاجية ترى من خلالها السائل، وقوارير الآخرة لا ترى من خلاله السائل. وأما على الجواب الثالث يوجد إعجاز في قوارير الجنة؛ لأن المفروض أن الفضة مادة تحجب ما خلفها، فالإعجاز أنها وصلت إلى حد صارت شفافة وصافية. وكلاهما يصلح هذا التكرار كقرينة له.

هذا الجواب الرابع لعله سبق إليه السيد المرتضى رحمه الله في كتاب المجازات النبوية، عندما يتعرض للرواية المعروفة أنه قال لحادي مطيه: يا أنجشةُ رفقاً بالقوارير، أي النساء. فأطلقت كلمة القوارير على النساء.

ويعلق على ذلك، أن هذا الاستعمال للنبي صلى الله عليه وآله من الاستعارات العجيبة التي في غاية البلاغة.

وتوضيحه في الجلسة القادمة.